



عاصفة القدر

للمرحوم مصطفى صادق الرافعي

[متر في أوراق المرحوم الرافعي على أفضولة نحسبها لم
تنشر، فوجدنا من حسن النسابة أن نشرها في يوم ذكره]

على شاطئ النيل في إقليم « النورية » من هذا البر قرية ليس فيها من جبل ولكن روح الجبل في رجل من أهلها ، فإذا أنت اعتبرته بالرجال قوة وضعفاً رأيتَه ينهض فيهم بمنكيه نهضة الجبل فيا حوله، وهو بطل القرية ولواء كل معركة تنشب فيها بين فتيانها وبين فتيان القرى المتناثرة حولها ، ولا تزال هذه المارك بين شبان القرى كأنها من حركة الدم الحر للفأخ المتوارث فيهم من أجيال بعيدة ينحدر من جيل إلى جيل وفيه تلك الفطرات للثائرة التي كانت تغلي وتغور، وهي كمهدا لا تزال تغور وتغلي، ويلقبون هذا الرجل الشديد (بالجل) لما يرفونه من جسامته خلة وصبره على الشدائد واحتماله فيها وكونه مع ذلك سلس القيادة سليم الفطرة رقيق الطبع ، على أنه أبطش ذي يدين إن نار ثأره ، وله إيمان قوى يستمسك به كما يتماسك الجبل بمنصره للصخرى ، إلا أنه يخلطه ببعض الخرافات ؛ إذ لا بد له من بعض الجرائم الشريفة التي يحمل عليها فرط القوة والروءة في مثله مع مثله . وليس في تلك القرية من بحر غير أن فيها شاباً أعنف طيشاً وعتواً من الموجة على بحرهما في يوم ريح عاتية ، حلو المنظر لكنه مر الطم ، صاق الوجه لكن له غوراً بعيداً من الدهاء والخبث ، وهو ابن عمدة البلدة وواحد أبويه والوارث من دنياها المريضة يسطر يديه على خمائة فدان ، وقد أفسدته للنعمة ، وأهانتَه عزته على أهله ، ولو اجتمعت حسنتان لتخرج منهما سيئة من السيئات بأسلوب من الأساليب لما وسعها إلا أسلوب نشأته من أبويه للطيبين ، تعلم وهو يعرف أنه لا حاجة به إلى العلم ، فحملت تلفظه المدارس واحدة بمد واحدة كأنه نواة ثمرة إنسانية، فإذا قيل له في ذلك قال

إن خمائة فدان لا تسعها مدرسة ... وذهب إلى فرنسا يطلب العلم الذي استمعى عليه في مصر، فأرهب ذلك العلم ... خياله وصقل حسه، ورجع من باريس رقيق الحاشية خنتاً متظرفاً لا يصالح شرقياً ولا غربياً

... وليس في تلك القرية غابة لكن فيها عذراء تلفت من جسمها في رداء الجمال الطبيعي الرائع ، ولها نفس أشد وعورة مما تنطوي للغابة عليه ، ففي ظاهرها الرونق الذي يفتن فيجذب إليها ، وفي باطنها القوة التي تلتوى فتدفع عنها ؛ وهي ابنة عم (الجل) واسمها (خضراء) ؛ وكان فيها زهو خضرة الربيع ، ولم تكن تمشق إلا القوة ، فما يزئ لها من الرجال إلا ابن عمها ، وهي شديدة الإعجاب به ، وإنما إعجاب المرأة برجل من الرجال مفتاح من مغاتيح قلبها

وكانت (خضراء) جاهلة كغشاء القرى، بيد أنها تلميذة باوعة للطبيعة التي نشأت فيها وزاولت أعمالها ، فهي بذلك أقوى نفساً وأشد مراساً من الفتيات التملعات ؛ إذ أخذت شكلاً ثابتاً من أشكال الحياة ، والحياة هي صنمها هذه للصنمة وأقامتها على هذه الهيئة ، على حين أن التملعات يمضين أيام للنشأة وسن الفرزة في التلقى عن الألفاظ والكتب ، وفي توم للصور المختلفة للاجتماع دون مباشرتها ، وفي توم أعمال الحياة بدلاً من مخالطها ، فيؤول ذلك منهن إلى قوة في التخيل قلما ترضى الحقيقة الإنسانية المؤلة حين تصادمها يوماً ، وتم الواحدة منهن ولكن باعتبار أنها تمت تلميذة للمدرسة ، لا امرأة للحياة بما فيها مما يجب وما لا يجب وكانت خضراء أشبه بدودة النهار تفتح أجفانها على أشعة الفجر كل يوم ، ولا تزال نهارها في دأب وعمل ، فنق ذلك عن أخلاقها ما يجلبه السكون من الخمول والميل إلى اللبث والدطابة ، وحصلت لها من الحياة حقيقة عرفت منها أن المرأة حامل من من أكبر العوامل في النظام الإنساني عليه أن يصبر على للسك والتعب إذا أراد أن يظهر بطبيعته الحقيقية لا بطبيعته المزورة المصنوعة ؛ ورأت الرجل يستأثر بجلائل الأعمال ولا يترك للمرأة إلا كما يترك عقرب الساعات لعقرب الثواني في الرقعة التي يجمعهما ، فهذا الصغير لا يبرح يضطرب في « دائرة الضيقة » يهتز من جزء إلى جزء ، حتى إذا أتم الدقيقة في ستين هزة كاملة ذهب الأول بفضلها كلها وخطا بها خطوة واحدة . ثم يعود السعف

من علم التربية إلا أن للحكومة مدارس للتربية، وموسرين لا يفهمان من معنى الحاجة في هذه الدنيا إلا أنها الحاجة إلى المال، ومنقطعين من النسل إلا منه ، فكأنه لم يولد لها بل هما قد وُلدا له
فله الأمر عليهما من كونه لا أمر لها عليه ، وبذلك أسرفا له من فضائل الرقة والحنان والإشفاق وما إليها ، وحى في نفسها فضائل ولكن متى أسرف بها الآباء على أولادهم لم تنشأ في أولادهم إلا ما يكون من أضرارها ، كالشجر يفرط عليه الري فلا يحدث فيه إلا اليبس والذوى ، وإنما أنت تحقيه الموت ما دمت ترويه بمقدار من هواك لا بمقدار حاجته

ونشأ الفتى في أحوال اجتماعية مختلفة جعلت من أخص طباعه تمويه نفسه على للناس، والتباهى بالنسب والتنسب بالأصدقاء والحاشية من وزرائه وعماله، ولتهيؤ بالثياب والأزياء، فانصرف بباطنه إلى تجميل ظاهره ، وردّ ظاهره على باطنه بالشهوات والدنيا ، وأطاعه على ذلك أنه جميل فأن ، كأنما خلقت صورته « للصفحة الحساسة » من قلوب للنساء . وذلك ملك عظيم لم يكن أبوه الرجل الطيب منه إلا كما يكون وزير مالية الدولة ولما أرسل إلى باريس وقع منها في بلد عجيب كأنه خيال متخيل، لا يؤمه رجل في الدنيا من كامل أو ناقص، وعالم أو جاهل، وشريف أو ساقط، إلا رأى فيه ما يعلا كل مداخل نفسه ومخارجها ، فلو قامت مدينة من أحلام النفوس الإنسانية في خيرها وشرها ، وطهرها ونجورها ، واختلاها ونظامها، لكانت هي باريس. وانقطع الشاب هناك إلى نفسه وإلى صور نفسه من أصدقاء السوء، فلا أهل فيلزموه الفضيلة ولا إخوان فيردوه إلى الرأي، ولا خلق متين فيعتصم به، ولا نفس مرة فيبوء إليها ولا قعر . . . فيجد له حدوداً في الشهوات يقف عندها . وما هو إلا خيال متوقد ومزاج مشبوب وتربية مدللة وطبع جرىه ومال يمر في إنفاقه، ومن ورائه أب غني مخدوع كأنه في يد ابنة كرهة الخيط : كلما جذب منها مدت له مداً، ثم ما هنالك من فنون الجمال ومتع اللذات وأسباب القوم ما يتناهى إليه فساد الفاسد وما هو في ذاته كأنه عقوبة مستأصلة للأخلاق لتطية فكان الشيطان الباريسي . . . من هذا المسكين في سمعه وبصره ورجله ويده بوجهه حيث شاء . وبالجملة فقد ذهب ليدرس فدرس ما شاء ورجع أستاذاً في كل علوم الناس المختلفة للطائفة وفنونها، وأضاف إلى هذه وتلك كلمات بلوى بها لسانه من علوم وأقوال ليس فيها إلا ما يدل الحاذق على أن هذا الشاب لم يفلح قط في مدرسة

المسكين إلى مثل عمله ، ولا يزال هذا دأبهما وإن أكثرهما عملاً وتباً هو أقامهما قيمة وظهوراً . ولكن هذا الضميف المنبون لم يتله ما ناله إلا من كونه هو وحده الذي بنى في هذا النظام على فضيلة الصبر والدقة ليكون أساساً الآخر . فمرفت (خضراء) كيف تعيد طبيعتها من تلقاء نفسها وتقرأها على الصبر والرضا والسكون إلى حظها الطبيعي والاعتباط به ، إذ كان فضل الرجل على المرأة ليس في كونه أكثر منها فضلاً أو أسباب فضل ، بل في كونها هي أكثر منه حباً وتسامحاً وصبراً وإيثاراً ؛ ففضائلها الحقيقية هي التي جعلته الأفضل ، كما تجوع الأم لتطمع ابنها

ورآها ابن العمدة ، ولما تمض أيام على رجوعه من أوروبا، وقد لبث هناك بضع سنين ، وكان عهده بالفتاة صغيرة ، فوثبت إلى نفسه في وثبة واحدة، ورأى شاباً وجمالاً وروعة زينتها في قلبه وسولت له مطمئناً من الطامع وجعلته يرى ما يرى بعمى ويفهم منه ما يفهم بمعنى غيره

وكانت حين رآها واقفة على النيل تملأ جرتها مع نساء من قومها وهن يتعابثن ويتضحكن ، كأن لخصب الأرض في أرواحهن أترأ يادياً ، فإذا ما أقبلن على النهر لشأن من شؤونهن تندت روح الماء على ذلك الأثر فاهتزت واهتزت المرأة به ؛ فإن كانت ذات مسحة من جمال رأيت لها ريفاً كريف الزهرة حين يمسخها للتندى ، وذهبت لتموج في جسمها ، وقد حسرت عن ذراعها ، ولس الماء دماً الجذاب ، فأرسل فيه تياراً من العافية والنشاط يتصل منها بقلب من يراها إن هو كان شاعراً بحس ؛ فإن كانت روح الرجل ظمأى ورأى المرأة على هذه الهيئة، فما أحبه أن يشرب منها يمينه شرباً يجد له في قلبه نشوة كنشوة الخمر . . . وكذلك وقت للفتاة من نفس هذا الفتى ، فزينها له الخبث الذي فيه أضمان ما زينها له الجمال الذي فيها ، وقدفها القدر إلى قلبه ليخرج من هذا القلب تاريخ جريمة ، فوقف يتأملها بين أحد من آلة التصوير لا تفوتها حركة ، وسلط عليها فكره وذوقه ، وأيقظ لها في نفسه الماني الرائدة ، فنصبت في قلبه عدة من تماثيل الجمال تجسدت في كل واحد منها على شكل كأنما أفرغت فيه أفرائم

وكانت نفس ابن العمدة من النفوس الخيالية التوثية، إذ قامت من نشأتها على أن تطلب فتجاب، وتأسر فتطام، وتشتهى فتجد، وكأنه ما خلق إلا ليستعبد قلبه والديه ، وكان ساذجين لا يعرفان

قال (ابليس) : لما كنت في السجن عرفت لصاً فانكأً أعيا قومه خبتاً وشرأ، وهذا السجن يحسبه للناس عقاباً وردعاً ومنهاة عن الإثم على أنه المدرسة التي تنشئها الحكومة بنفسها لطلبي علوم الجريمة عن كبار أساتذتها، إذ لا يمكن أن يجتمع كبارهم في مكان من الأرض إلا فيه . فالسجن طريقة من طرق حل المشكلة الإنسانية ولكنه هو نفسه يحدث للإنسانية مشكلة لا تحل .

قال الفتى : ويحك ! أين يذهب بك ؟ إنما أرسلك إلى المرأة لا إلى السجن . قال : نعم ترسلني أنت إليها ولكن لا يعلم إلا الله أين يرسلني ابن عمها ، إلى السجن أم إلى المستشفى ... فاسمع ياسيدي، كان من نصائح أستاذي في ذلك للسجن أن الحيلة على رجل يبنى لإحكامها أن يكون في بعض أسبابها امرأة ، والكيد لمرأة يجب أن يكون في بعض وسائله رجل ... صه . انظر !

انظر ! فالتفت للشاب فإذا (الجلل) مقبل يشكفاً في مشيته ، وكان غليظاً ، فإذا خطا شدة على الأرض بقدميه ، وتكديس بعضه في بعض ، وكان منطلقاً وقتنذ إلى بعض مذاهبه ، فلما حاذاهما قال : السلام عليكم . فردا جيماً ؛ وري ابن الممدة بنظرة ثم مضى لوجهه . فلم يجاوز غير بعيد حتى بلته صوت الشاب يناديه : يا فلان ! فانكأً إليه ؛ فقال له الشاب : لقد بُدَّ عهدك بالقوة على ما أرى . قال : فاذا ذلك ؟ قال : أما بلنك أن فلاناً في هذه القرية التي تجاورنا ، سيقترن بزوجه بعد أيام . وأنت تعرف الموقمة التي كانت بين بلدنا وتلك البلدة يوم عرس فلان في السنة الماضية ، وكيف اندفعوا على أهل بلدنا وحطموا فيهم تلك الحطمة الشديدة ، ولولا أنت أدركتهم ورميتهم بنفسك حتى دفعتهم عن الناس وسقطهم أمامك سوق للتعاج ، وكانت بلدنا اليوم أذل البلاد، ولا استطالوا علينا بأنهم غلبونا . ولقد حدثني صاحبني هذا كيف تلقيت بهراوتك يومئذ خمساً وعشرين هراوة فأطرتها كلها في جورتك وهزمت أصحابها بعد أن أساطوا بك وتكأوا عليك ؛ فأنت نخر بلدنا وصاحب زعامتها ، وما أرى لك إلا أن تنتهز هذه الفرصة وتسرع الوتيرة إليهم رجالك ، فتجزيمهم في أرضهم صنيعاً بصنيع مثله

فهز الجلل كتفيه للمريضين وقال : بل سأنتظرم في يوم عرسى بابنة عمي ... قال الشاب : أبلفت ؟ ما أرى فإنك لتخافهم ! قال : لا أخافهم ولكن أخاف الحكومة أن تؤخر يوم زواجي ... سنة أو سنتين . قال الفتى : فإن عملك هذا لا يشد من نفوس

فلما وقمت (خضراء) منه ذلك الموقع وأخذت مأخذها في نفسه، اعتدتها نزوة من نزواته، فما بمنله أن يحب مثلها ولا هي كفايته في شيء، إلا أن تكون لهو ساعة من ساعاته، أو حادثة تجرى فيها حال من أحواله الغرامية . وحسبها امرأة ليس لقلبها أبواب تمتنع على مثله ، فقد أن غناه وقرها يقتلمان باباً ، وعلمه وجهها يحطمان باباً آخر ، وجماله وحده يضع ما يبق من الأفعال عما بقي من الأبواب ، وكان يحسب أن جمال المرأة من المرأة كالحلية من بائنها فسكل من ملك ثمنها فليس بينه وبينها إلا هذا الثمن ؛ ولكن الأيام جعلت تأتي وتعم وهو لا يزيد على أن يمرض لها وهي ترميه من صدودها كل يوم بداعية من دواعي الهوى ، وكان لا يجد بنفسه قوة أن يزيدا على النظر شيئاً، وترك لوجهه وثيابه ونظراته وغناه أن تصل بين قلبه وقلبا بسبب، فلم يزل طائلاً وتماهى في حبه واستولت عليه فكرة غمرته بهذه المرأة ، أما هي فأشعرتها غمرتها بما في قلبه منها وكانت مساة ، لابن عمها (١) ، فكانت تتحاشى هذا الشاب وتحمزه حمزاً شديداً ، وتتوهم أن الناس يحصون عليها للنظرة والالتفاتة ويحسون عليه من ملامها ، ووقع في نفسها أن لهذا الرجل شأنًا غير شأن الرجال الآخرين، فهم لا يستطيعون معها حيلة وهو يستطيعها بغناه ومزنته

وكان للرجل خادم داهية قد تخرج في مجالس للقضاء ... من كثرة ما حكم عليه في تزوير واحتيال وغش وادعاء وإنكار ونحوها ، وقد استخلصه لنفسه واتخذ مؤانساً ورفيقاً وجملة دسيساً (٢) إلى شهوته المرافلة ، كان يسميه فيها بينهما (ابليس) فلما أراد أن يرميها به قال ياسيدي هذه قضية احتيال عليها ، فإذا دخل ابن عمها خصماً في الدعوي كانت قضية احتيال على عمري أنا ؛ قال : ويحك أيها الأبله ! فأين دهاؤك ومكرك ؟ وإنما أرسلك إلى امرأة فقيرة عيشها كفافها ، وأنت تمدها وتغنيها وتبذل عنى ما شئت ، ومتى أطعمتها في المال فإن هذا المال سيوجد ما لا يوجد في مكان فيشري ما لا يشري ويبيع ما لا يبيع . قال (ابليس) : نعم ياسيدي وكذلك هو ، ولكن خوف العار يطرد حب المال . قال : فأنت إذن لا تقبل . قال : ولا أرفض ... قال الشاب : فأنك الله لقد فهمت سأشترها منك بثمانين أدهماً لك والآخر لها، ولكن أخبرني كيف تصنع معها ومن أين تبلغ إليها؟

(١) مدة لحظته ، أو كما يقولون : قرئت مر أمهنا الناعمة

(٢) جانتوسا وصاحب سر

رجالنا، ولا بد أن أولئك سينظرونكم ويمدون لكم؛ فإذا لم تناجزوهم في بلدكم عدوها عليكم هزيمة من الهزائم وكأنهم ضربكم بلا ضرب

قال الجبل: هم لا يعرفون معنى الضرب بلا ضرب لأنهم رجال، والذي يضرب بلا ضرب لا يكون رجلاً... والسلام عليكم... ثم انطلق. فلما أبعث قال الشاب: لقد بدأت الحرب ولا بد لي أن أحطم هذا الفلاح اللعين، ولقد عرفت الآن من وجهه أن عينه على، ولست أشك في أن بنت عمه لا تمتنع بقوتها بل بقوته، ولولا معرفتي أنه من انحطاط الفريزة كالوحش في الدفاع عن أناه... ك...

قال (إبليس): لقد تأملت القصة فرأيت أنه لا سبيل لك إلى الفتاة وهي بعد فتاة؛ فإذا هو وصل إلى امرأته قطعت أنت بهذه الخطوة نصف الطريق إليها... وستبلى هي من غلظته وخشونة طبعه ما يسهل لك أن تعلمها قيمة ظرفك وورثك؛ وستجد من سوء ماملته وقبح تسلطه ما يفتح قلبها لن يأتيها من قبل الرق واللين؛ وستصيب عنده من ضيق المعيشة وقتلها وبسها ما يفهمها معنى ذلك الميث الحلو الخضر الذي تعرضه عليها؛ ثم إنه لا بد مبتليها بغيرته المميء بمد ما عرف من حبك إياها، والغيرة منك هي توجد بينهما داعماً وتبته المرأة إليك كلما كرهت من رجلها شيئاً لا ترضاه

ولم تكن إلا مدة يسيرة، حتى أهديت المرأة إلى زوجها، وإنما تعجل الزفاف إبان له أن ينصب يده القوية حجاً بينها وبين هذا المقتون، وليكتسب من للقانون حقاً لم يكن له من قبل إذا هو مد هذه اليد وعصر في قبضتها تلك الرقبة التي تتطلع إلى امرأته، ورأى الشاب أن هذه الحال لا تعادل به وبخصمه ممك، وكانت الغيرة تأكل من قلبه أكلاً، وكان يمرض المرأة كلما خرجت بمكتلها^(١) إلى السوق، أو بجرتها إلى الماء، لأنه حينئذ يكون في الطريق الذي لا يملكه أحد... فكانت إذا رأته لم ترد على ما يكون منها، إذا هي أبصرت حماراً بمد عينه إليها. فعمد إلى امرأة مغنية ترف المرائس، وهي التي زفت (خضراء)، فأكرمها وأحفها وسألها أن تسفه يممض ما يحتمل به، وأن تكون سبيله إلى المرأة؛ وتحمل عليها (بإبليس) حتى استوثق منها، فكانت تتحدث عنه أمام (خضراء)، تستعجب بذلك أن تلفتها إلى نعمته

(١) هو ما يسمى التلق

وجاله، ولكن المرأة أغلظت لها وسببها وحذرتها أن تعود إلى مثل كلامها، وقالت لها آخر ما قالت: واعلم أنني لو دُفعت إلى طريقين، وكان لا بد من أحدهما، ثم كان أحدهما حصاء الدنانير وهو طريق العار، والآخر حصباؤه الجمر، وبفضي إلى الشرف، إذن لتزهدت أن أدنس نعلي بالذهب ولتثرت لحم قدمي على الجمر ثراً وأما الحب فلا يبقى حباً أبداً، فإما فاز فبرد ورجع سلواً،

وإما خاب فاضطرم ونحول إلى حقد وتغمة؛ وكذلك انفجر الشاب غيظاً، ووجد على الخيبة موجدة شديدة، وأخذ يدبر رأيه، ففتقت له الخيلة أن يقتل الرجل للشهم بشهامته، والمرأة المنيفة بعفتها، فواطأ إبليس على أن يدفع إلى تلك المغنية مندبلاً من الحرير - عقد طرفه على دينار من الذهب - تلقية في صندوق «خضراء»، وتدسه في طي من أطواء ثيابها، فذهبت المرأة وما زلت «بخضراء» تستصلحها وتمنذر إليها حتى استتت ضغينة قلبها، ثم سألتها أن تأتيها (بالعيش والملح) لتصيب كتابها منه وتتحرم بحرمة، فلما نهضت تأتيها أسرع الخبيثة إلى الصندوق فدست المندبيل في أبعد مواضعه وأخفاها، وكان مندبى بالمطرايم على نفسه إذا لم يتم أحد عليه؛ ثم رجعت

بما فلتت إلى الشاب فأطلق خادمه يهمس لبعض أصدقاء الجبل أنه رأى اليوم في يد (خضراء) ديناراً ذهبياً على نذرة الذهب وعزته، فجمل هذا الدينار يطير من نفس إلى نفس بقوة الذهب الذي فيه والحب الذي أعطاه والجبال الذي أخذه، ثم انتهى إلى الجبل، فكانت حمله وطار به إلى داره كالمجنون، وقد حمى دمه الحر وجاش جأشه العنيف، ولم تكن امرأته في الدار، ففتر ما في الصندوق وما كادت تفهمه رائحة المطر حتى نفخ الشيطان به نفخة المنصب الكافر، ثم عثر على المندبيل ورأى بصيص الدينار قدارت به الأرض وأيقن أن للمارق قد طرقت بابه وأن الباب قد فتح له؛ ثم رد نفسه على مكروهها ورد معها كل شيء إلى موضعه، وتأنف رأيه على جرميتين، وخرج ووجهه تصرخ من ضربة بتندبيل وهو الذي كانت تنهاوى عليه للضربات القاتلة تهشم منه ولا يتأوه

وذكر أن (حماته) أثنت من عهد قريب على ابن العمدة ووصفته بالرة والنسي، فوجه إليها أن تأتي فتببت عند امرأته لأنه على سفر، وكان كالأعمى في ضلالته لا يرى الأشياء إلا كما يتخيلها في نفسه دون ما هي في نفسها، فسألته زوجته: أين أزمعت وما تبني من سفرك وكم تلبث عنا؟ فكانت سمعها تقول: إرحل إلى مكان بعيد

أصلحوا الفانون الذي يحكم بالموت شفقاً وزهق الأرواح
الكبيرة في حين تغلبه الأرواح الصغيرة بحيلها الدنيئة
ومع ذلك سألقى الله وهو يعلم سريري إن كنت بريثاً أو مجرماً
قيم السجين : ستلقاه طاهراً
للسجين : أرايتم مني خلق سوء . . . ؟ أتمتقد على ذنباً مدة
سجني ؟

القيم : كلنا راضون عنك
للسجين : هذا ممثل من أخلاق والحد لله على أن آخر
كلمة أسمها من إنسان على الأرض كلمة الرضا
.....
أشهد أن لا إله إلا الله . وأن محمداً رسول الله

نظرت ريشةً من زغب العصفور إلى النجوم فحسبتها ريشاً
متنازراً، فامتطت العاصفة وقالت: إلى السماء، ودارت بها للعاصفة
ما شاء الله أن تدور ثم رمت بها حيث وقعت لم تبال في موضع
نفع أم ضرر . فأقبلت الريشة تنسخت وتزعم أنها فوضى نائرة
لا حكمة في خلقها، وأن الرياح بمثرة في نظام العالم ... وكان إلى
جانبا شجرة تهتز ولا تطير ... فلما وعت مقاتها أقبلت عليها
فقلت : أيتها الريشة ! إن الرياح لا تكون بمثرة في نظام للعالم
إلا إذا كان للعالم ريشاً كله . مصطفي صادق الرافعي

الافصح

المعجم للمعرب للفند ، وهو خلاصة وافية للمخصص وغيره
من المعجمات ، يرتب الألفاظ العربية على حسب معانيها ،
ويستفك باللفظ للمعنى المراد ، يعين العلماء على وضع المصطلحات
العربية في العلوم المختلفة ، ولا يستغنى عنه مترجم ولا أديب ،
٨٠٠ صفحة تقريباً ، طبع دار الكتب ، أشرفت طبتمته على
للنقاد ، ثمنه ٢٥ قرشاً يطلب من مجلة الرسالة ومن المكتبات
الكبيرة ومن مؤلفيه :

عبد الفتاح الصديقي
رئيس التحرير
مجمع اللغة للسك

عيسى يوسف مرسى
المدرس بمدرسة الخديوي إسماعيل
الثانوية

وغب عنا زمناً طويلاً فبنا إلى غيابك حاجة شديدة ، وكاد يعطش
بها ولكنه كاتم صدره اللوعة وذكر اسم جهة بعيدة ومضى
والانكسار يعرف فيه

فزع الناس بعد أيام في جوف الليل فإذا بيت الجمل يحترق
من أرضه وسنائه، واقتحموه فإذا المرأة وأما نخماتان، وانطلقت
أسرار الألسنة وقبض على الرجل في بلدة أخرى، وتولى ابن العمدة
توجيه للبينة عليه، وشهد الشهود على الدينار، وشهد الدينار على النار،
وأنكر « الجمل » ولم يقصر في إقامة الحجية، ودافع عن امرأته
ويافع في أمانتها وعفتها، وشهد أنه لا يعلم عليها من سوء وأنها أظهر
للنساء وأبرهن ، ثم كان الحكم أن قضى عليه بالموت شفقاً
فلما كان يوم إنفاذ الحكم سئل الرجل : هل من شيء تريده ؟
فطلب دخينة^(١) فقدمها له قيم السجين فأشعلها ونفخ من دخانها
نفخة، ثم أخذ يشكك وعمره يقضى مع الدخينة نفساً في نفس، وعاد
هذا الدخان المتطاير كأنه سحاب يسبح فيه الوحى بين حدود
الدنيا وحدود الآخرة . قال السكين : لم أعلم ، ولو تعلمت ما وقعت
هنا، ولكن ربما كنت خرجت نذلاً كععض الممثلين الذين يبشرون
أشراقاً وفهم أرواح القتلة واللصوص

لم أقر لأحد بجريمتي خشية أن تذكر كلمة العار مع اسمي ،
وآثرت أن أموت بالشنق على أن أحيى ويموت اسمي بالعار
ولكني سأعترف الآن أمامكم ، وأنتم الساعة على قبري فكونوا
كاللائكة : لا يشهدون بما عرفوا إلا عند الله وحده

أعترف أنني قتلت زوجتي وأما ، وقد تقولون إنه ليس من عمل
الرجل أن يقتل امرأة فضلاً عن اثنتين . إنني رجل سأشفق ؛
أما للنساء فلا يشفقن وإعنا أرسلن الرجال إلى المشقة ... لم أر أبى
إذ تركنى طفلاً ، ولكن يقال إنه كان رجلاً ، فأنا رجل وابن
رجل ولم يذلني رجل قط ؛ ولكن لو خلق الله قوة مائة جبار
في جسم رجل واحد لأذلته امرأة

إنه ليس من شيمة الرجل أن يقتل النساء ؛ ولكن المرأة تذل
الرجل ذلاً يهون عليه قتل نفسه فكيف لا يهون عليه قتلها ؟
علموا المتعلمين ليصيروا في الشرف والأمانة والعمفة كرجل
جاهل مثلي ، لا يرى للحياة كلها قيمة إذا كان فيها معنى العار ،
ويقدم عنقه للمشقة حتى لا ينكس رأسه للنذل

(١) وضمناها لسجارة وهي أليق الألفاظ بها

في ذكرى الرافي

[بنية المنشور على صفحة ٨٠٤]

مثل الفهرست لابن النديم ، ووفيات الأعيان ، ونحوهما وطريقته في للتخصيل من هذه للكتب ، أن يقرأ الكتاب ما بين دفتيه ؛ ثم يكتب ملخصه بحيث يشمل من أسماء أهل الفنون الأدبية وامتياز كل منهم ، مثل الشعراء ، والخطباء ، والكتّاب ، والرواة ؛ ثم أسماء للكتب ، وموضوعها ، وفنون العلم ، وممارسات العلماء بعضهم البعض ؛ ثم للطرائف الأدبية التي تشير إلى معنى يتصل بشيء من موضوعه . وفي كتب التراجم من هذه الطرائف ما ليس في كتاب

وأستطيع أن أقول جازماً : إن الرافي اعتمد على كتب التراجم في الجمع لكتابه « تاريخ آداب العرب » أكثر مما اعتمد على الكتب الخالصة للأدب ؛ وكان اتجاهه إلى ذلك سبباً في توفيقه إلى ما لم يوفق إليه غيره في موضوعه

ويذكرني اعتداده بكتب التراجم في هذا الشأن ، ما ذكرته في كتابي « حياة الرافي » عن استمداده منها أكثر ما كان يكتب لقراء الرسالة من قصص لم ينسج على منوالها كاتب من قبله ولا من بعده ؛ فكان هذه الكتب كانت عوناً كبيراً له على ما أبدع في الأدب بنوعيه : الإنشائي والوصفي

لست أشك في أن طريقة الرافي هذه كانت ذات فائدة كبيرة ، ولكنها كانت حقيقة بأن تكون أكثر جدوى وفائدة لو أن هذه التخصصات والفهارس التي صنعها ليستعين بها كانت على غير النظام الذي وضع ، ليكن انتفاع غيره بها ؛ فلو أنه عني بأن تكون تلك الفهارس كاملة وعامة ، لكان بذلك قد كمل نقصاً في تلك للكتب التي أخذ عنها وزادها فائده ؛ ولكنه — رحمه الله — لم يكن له غاية من صنع هذه للفهارس إلا الاستمارة بها على الجمع لكتابه ، فبلغت به ما أراد ، ثم بطل عمالها

وقد يسأل سائل : كيف نهياً للرافي الزمن الذي قرأ فيه تلك الكتب التي أخذ عنها وخلصها ، ثم ألف منها كتابه ؟ وهو سؤال لا أجد جوابه ، على أنه مما يزيدني دهشة أن الرافي قد بدأ يعد لكتابه تاريخ آداب العرب في سنة ١٩٠٩ و فرغ منه — بأجزائه الثلاثة — في سنة ١٩١١ ؛ فانظر ما عسى أن تسمع

له سنتان من عمر فتى لم يتجاوز الثلاثين وهو أب وزوج وله عمل في الحكومة يشغل نصف نهاره ؟

وقد قال لي قائل مرة وقد جاء ذكر الجزء الأول من تاريخ آداب العرب : إنه كتاب يتحدث عن كل شيء إلا عن آداب العرب ! قلت : قد يكون ذلك رأيك ورأي طائفة معك ، ولكنه على كل حال كتاب يفني عن مائة كتاب ؛ واسأل معلميك : من ألف في تاريخ آداب العرب قبل الرافي ؟ رحمه الله بما قدم لهذه الأمة وأجزل ثوابه

محمد سعيد المرزبان

M. Arab. 143

الشیطان ذو الأجنحة

إن لسان جزيرة سيلان أسطورة مقدسة تخبر بالشعر عن تاريخ سيلان مدة تزيد على أربعة وعشرين جيلاً . ويستنتج من هذه الأسطورة أن الجزيرة التي زارها بوذا مراراً كي ينشر فيها تعاليمه بنفسه مزرت بجهود من الرفاعية لم تعرف مثلها إلى ذلك الوقت ، ومن المحتمل أن يكون سكانها أكثر عدداً من الآن ، فأثار الهياكل السكينة والبحيرات الاصطناعية التي أهملوها لاتزال برهاناً على ذلك .

ولا داعي للبحث ببيدأ جداً من أسباب نقص عدد السكان فالجزيرة المباركة قد اجتاحتها مراراً المرض الوياتي بتساوة فان أهالي الجزيرة وكذلك أيضا البرتغاليين الذين احتلوا في الجيل السادس عشر والهولنديين الذين طردوا هؤلاء ، وأخيراً الانجليز الذين ملكوا بعد ذلك سيلان قد قاموا كثيراً من تنقي هذا الوياء ، وقد نشر الهولنديون أيضا سنة ١٦٤٧ خريطة من سيلان وقد تركت مناطق كاملة بيضاء مع أنه لم يكن المقصود من ذلك أنها أراض مجهولة إذ كان الانسان يقرأ على هذه البقع البيضاء هذه الكلمات التي لاتدع مجالاً للشك جهات أقرها المرض .

في سنة ٢٢٨ مسيحية على عهد د هامبور ، قد اجتاحت الجيات والأمراض هذه المناطق وأهلكت السكان على ما يؤكد الرواة في سيلان بدرجة أنهم مجزوا عن أن يزرعوا الأرز وقد نتج من ذلك مجاعة طويلة المدى فنسوا هذه البلية إلى حيث الشيطان ذي الجواخ وسعوا لتجنبه بواسطة الرقص حسب الطقوس الدينية ولكن الرواة يؤكدون أن سكان سيلان لم يجدوا السعادة مع ذلك طالما أن الشيطان ذو الأجنحة السوداء لم يقتل بعد . وقد قامت الحكومة الانجليزية بحمائية بمرض الملاريا بنشاط كبير في سيلان يمكن الانسان أن يأمل الآن بعد ثمانية عشر جيلاً بأن الساعة قد حانت أخيراً كي يرى نهاية حكم الشيطان ذي الجواخ كما يقول الرواة . وقد بنوا أيضا مستشفيات كثيرة . وفي بحر هذه السنوات الأخيرة عند ما عمت الملاريا بشكل وبائي قد وزعوا مراراً ألوف الجرارات من السكينا خلال ستة أشهر إما على سبيل الوقاية وإما على سبيل التداوي ، والطريقة التي تصفها لجنة الملاريا في جميع الأمم تلخص في تطبيق العلاج السريع بالسكينا أي مقدار جرام واحد أو جرام وثلاثين ستجرام يوميا مدة خمسة أو سبعة أيام وهي سلاح قوي لتصب ينجذ بأكله ضد الشيطان ذي الأجنحة وتوصي على سبيل الوقاية بأخذ ٤٥ ملليجرام من السكينا يوميا طول مدة موسم الجيات .

طُبعت بمطبعة الرسالة بشارع المبدولي — عابدين